قـــــراءة في كتـــــاب

«الحرب العالمية الرابعة»
دبـــلـــومـــاســـيـــة وتجسّـــس في عـــمـــر الإرهـــاب

الشـــيخ محـــمّد عـــثمان

دراسة نفسيّة الخصم، ومعرفة كيفيّة تفكيره أمر مهمّ لنا، وليس ذلك من أجل مراعاة خواطرهم كما يزعم من انبهر بالخصم واستعلائه في الأرض، وإنّما من أجل تعزيز جانب المدافعة التي فرضها الله على المؤمنين في هذه الحياة، وعلينا من خلال دراستنا لما يفكّر به الخصوم أن لا ننساق وراء مشاريعهم وطرائق عملهم كما وقع فيه من لم يتضلع في تاريخ هذه الأمّة وعلومها، لأنّ كلّ مشروع في هذه الحياة له أسلوب عمله الذي يتلاءم مع لبّ وجوهر هذا المشروع، والعلاقة بين المشروع والغاية وبين الأسلوب وطريقة العمل علاقة تلازم لا انفكاك بينهما، وكلّ دعوى بجواز اقتباس الفعاليات من الآخرين دون ضبواط هي دعوى مغلّفة بالجهل أحياناً أو بسوء القصد أخرى.

بين يدي كتاب مهمّ وفيه دراسة مركّزة تعبّر عن وجهة النظر الغربيّة لنا نحن المسلمين، وهي ليست وجهة نظر علميّة فقط لكنّها عملية يرى صاحبها حقيقة العلاقة بين الإسلام وبينهم وأنّها علاقة مدافعة لا تنتهي أبداً كما قال تعالى ﴿**ثُقاتلونهم أو يُسلمون**﴾، هذا الكتاب هو «الحرب العالمية الرابعة، دبلوماسية وتجسّس في عمر الإرهاب»، ومؤلّفه هو كونت دي مارنيشز، عاونه فيه من أجل الصياغة والترتيب الصحفي الفرنسي ديفيد آندلمان. وحتّى نعرف أهمّية الكتاب وقيمة الرؤى المطروحة فيه، وهل لها أهمّية واقعية أم مجرّد رؤى أكاديميّة بحتة، فلا بدّ أن نعرّف من هو هذا الكاتب العتيد.

من هو الكاتب؟

كونت دي مارنيشز هو ذلك الرجل الذي قاد المخابرات الفرنسيّة وأرسى أسسها منذ أن وُلدت الجمهورية الفرنسية بعد خروج الألمان منها، وقد خاض الحرب العالمية الثانية كضابط اتّصال ضمن جيش ديغول في المنفى البريطاني، وبقي في مرتبة القيادة لهذه المخابرات حتّى بلغ السنّ القانوني للتقاعد في زمن الرئيس الفرنسي السابق ميتران، وهو يعدّ أطول رئيس مخابرات بين رؤساء المخابرات الغربيّة، وهو سليل عائلة أرستقراطية تفتخر بانتمائها إلى جيل الإقطاعيين الذين يشعرون بانسياب نوع خاصّ من الدماء في عروقهم وشرايينهم ممّا يبعث فيهم شعور الزهو والكبر نحو الآخرين حتّى من بني جلدتهم والناطقين بلغتهم.

النظرة المخابراتية الغربية للمعركة مع الإسلام

في الكتاب الكثير من القضايا المهمّة، والتي على دارسي الشعوب وحركات التغيير والواقفين على قضايا الدفع والصراع في العالم أن يقفوا عندها ويعتنوا بالتقاطها، وليس من مهمّتي هنا في هذا التعريف أن أكشف ذلك كلّه لأنّه يحتاج إلى بحث مطوّل وليس لعدم أهمّيته، ولكن ما أشعر أنّه من الواجب بيانه هي تلك النظرة المخابراتية للمعركة المتواصلة بين الإسلام والغرب، وكيف يُنظر إلى هذه المسائل؛

إقرأ هذه العبارات وتمعّن فيها:

– «تريد الطوائف الإسلامية أن يتمّ طرد كلّ دين آخر من كلّ جزء لهم من العالم، هذه العصبيّة هي قلب الحرب الأهليّة في لبنان، والنزاع الإسرائيلي الفلسطيني، وقلب النزاعات الحدوديّة المتزايدة، حيث أنّ معارك الحرب العالمية الرابعة مستمرّة وتنتشر، إنّها آخر أعمال الحملات الصليبيّة في العصور الوسطى، إنّ الجنوب اليوم يقوم بصنع قائد يعوزه التفكير السليم لسنا معتادين على التعامل معه».

– «إنّ عدوّنا الآن هو عدوّ متعصّب دينيّاً، ذلك المتعصّب لن يكون سعيداً طالما أنّه هناك عضواً من المعارضة البغيضة على قيد الحياة، هذا هو الحال في لبنان حيث الطوائف الإسلامية ثائرة ضدّ المسيحيين، سيكون المتعصّبون غير سعداء أبداً طالما بقي مسيحيّ في أرضهم، ويأتي اليهود بعد المسيحيين».

– «يعيش أعداؤنا وسيستمرّون في الوجود وبشكل مستمرّ في التحرّك حيث يكون من الصعب أن تفرّق بين الشباب الطيّبين وغير الطيّبين».

– «إنّها الحرب (العالمية الرابعة) بين الشمال والجنوب، الأمم الفقيرة غير المنظمة ضد الغنيّة المنظّمة، سيكون هناك سريعاً أكثر من أربعة مليارات من الناس في تلك الأمم من الجنوب، ومليار في أفريقيا وحدها ضدّ مليار في كلّ الشمال، فمن سيكون حلفاؤنا الجدد؟ ومن سيكون أعداؤنا الجدد في الحرب العالمية الرابعة هذه؟ وما سيكون أكبر التحدّيات لأجهزتها المخابراتية والتحليليّة؟».

– في حوار بين المؤلّف وريغان الرئيس الأمريكي، في طرق معالجة القوات الروسية في أفغانستان يومها، قال المؤلّف:

«كان الرئيس (ريغان) في هذا الوقت يبتسم وأحبّ الأمر؛ قلت: والعنصر الثالث يا سيادة الرئيس ربّما يكون أكثر العناصر وحشيّة!!

وتساءلت: ماذا ستفعلون بكلّ المخدّرات التي ضبطتها إدارة المخدّرات وحرس الحدود والمباحث الفيدرالية والجمارك؟

قال ريغان: حسن، لا أعرف، من المفترض أنّنا ندمّرها.

قلت: ذلك خطأ، علينا أن نوزّعها مجّاناً.

حينها تحدّث الرئيس بصوت منخفض قائلاً: آه! يا إلهي.. يا سلام!!.»

– «إنّ عدوّنا على مدى ثلاثة أرباع قرن (أي الشيوعيّة) حلّ محلّها أعداء جدد (أي المسلمون) أكثر ترويعاً، وربّما أكثر الأعداء خطورة، بصفة أساسيّة يتوجّب علينا فهمهم إن أردنا التعامل معهم،... وإنّ أعداءنا المتعصّبين من شتّى بقاع العالم وأولئك الذين يسيطرون عليهم ويستخدمونهم هم حولنا وبيننا، وإذا نجحوا في غزواتهم فإنّ أوّل ضحاياهم ربّما يكون المعتدلون جدّاً من المسلمين الذين هم الآن أصدقاؤنا وحلفاؤنا (يقصد الحكّام). إن هؤلاء المتعصّبين أيّا كان اقتناعهم الديني هم إرهابيّون يقوّضون مؤسّستنا الديمقراطيّة».

– «إنّ الحرب العالمية الرابعة من الممكن أن تكون معركة تخويف بنسب هائلة حقّاً، باستخدام أسلحة الإرهاب التي لم يتمّ رؤيتها في المعارك

(يتبع صفحة ٣٤)